بسم الله الرحمن الرحيم

مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللّٰهِ

للشَّيخِ: مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الفَيْفِيِّ –حَفِظَهُ اللّٰهُ تعَالىٰ–

شَرِيْطٌ مُفَرَّغٌ

.. أعدَّ هـٰذه المادَّة: محمّد عماد نوفل ..

www.daawah.net

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله -وحده لا شريك له-، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وعلى من اقتفى أثره واستن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين-.

أما بعد:

فإني أحمدُ الله -سبحانه وتعالى- أن هيأ لنا مثل هذا اللقاء بعد هذه الشعيرة العظيمة، أسأله -جل وعلا- أن يرزقنا بهذا اللقاء العلمَ النافعَ والعملَ الصّالح، وأنْ يجعلنا وإياكم ممن أراد به خيراً ففقهه في الدين، فإنه «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، كما صح في ذلك الخبر عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما-.

موضوعُ مُحاضرتنا -أو كلمتنا- لهذه الليلة هو: مَنهجُ الدعوةِ إلى الله عندَ السلفِ الصالح.

والدعوةُ إلى الله -سبحانه وتعالى- عرَّفَها أهلُ العلم: هي دعوةُ الناس إلى الإسلامِ بالقول والعمل، وعرفها شيخُ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، قال: «الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسُلُه، وتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أَمَروا، وذلك يتضمن الدعوةَ إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدرِ خيره وشرِّه، والدعوةِ إلى أنْ يَعبُدَ العبدُ ربَّه كأنه يراه...» إلى آخر ما قال -رحمه الله-.

وأهمية الدعوة تكمُنُ في أنها مُهمة الأنبياء -عليهمُ الصلاة والسلام-، فالرسل هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدى، ودعاة الثقلين جميعاً إلى طاعةِ الله وعبادته، واللهُ -سبحانه- أكرم العبادَ بهم، ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضحَ على أيديهمُ الطريقَ السويّ، والصراطَ المستقيم؛ حتى يكونَ الناسُ على بينةٍ من أمرهم، ولو لم يكن للدعوةِ إلى الله -سبحانه وتعالى- فضلٌ إلا هذا لكفاها والله شَرَفاً؛ لأنَّ المهمةَ التي بعثَ اللهُ -تعالى- صفوةَ خلقه للقيامِ بها لا شك أنها تكون أفضلَ المهام وأجلها وأشرفها وأعلاها.

ومما يدل على أهمية الدعوةِ إلى الله -سبحانه وتعالى-: أنَّ هذه الأمة إنما وُصِفَت بالخيرية؛ لقيامها بهذا العملِ العظيم، والواجبِ الجسيم، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[آل عمران: ١١٠].

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: «﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: خيرُ الناس للناس، تأتون بهم في السلاسلِ في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام».

والأدلةُ على أهميتها أكثرُ من أن تُحصَر، وأشهرُ من أن تُذكَر، لكنْ مما يدل على فضلِها وأهميتها: هُوَ شدةُ حاجةِ الناس إليها، وأنهم محتاجونَ إليها بلسان الحالِ والمقال.

قال العلامةُ ابن إبراهيم -رحمه الله-مفتي الديار-: «والناسُ في هذه الأزمنة بحاجة إلى الدعوة أكثرَ من حاجتهم لها في أي وقتٍ مضى؛ حيثُ قد كَثُرَت دواعي الشر، وتفشت الإباحةُ والانحلالُ الخُلُقي، وجاءت بأثوابٍ مختلفة، وتحت شعاراتٍ براقةٍ خَدّاعة، وغَزَتْ قلوبَ الشباب أيما غزو، كما كَثُرتْ البدعُ والخرافات، وظهرت المبادئُ الهدامةُ المخالفةُ لما جاء به الرسولُ -صلى الله عليه وسلم-، وأَخَذَ دعاتُها أَزِمَّةَ التوجيه فأفسدوا ما بقي من المسلمينَ من دينهم أو كادوا، والتقى أعداءُ الإسلام من أصحابِ الديانات المختلفة وحملةِ المبادئ الملحدةِ على صعيدٍ واحد؛ وهو محاربةُ الإسلام والصدِّ عنه بشتى الوسائل، وتألبوا عليه وجاؤوا من كل حَدَبٍ وصَوْب».

قال ابنُ القيم -رحمه الله-: «إذا اهتدى رجلٌ واحدٌ للعالِم كان ذلك خَيراً له من حُمر النِّعَم، وهي خيارُها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدى به كلَّ يومٍ طوائفُ من الناس؟».

وجاء عند مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «**مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلَ أجور من تبعه لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثمِ مثلُ آثام من تبعه لا ينقصُ ذلك من آثامهم شيئاً**».

قال ابن القيم -رحمه الله-: «أخبرَ الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- أن المتسببَ إلى الهدى بدعوته له مثلُ أجرِ من اهتدى به، والمتسببُ إلى الضلالةِ بدعوته عليه مثلُ إثمِ من ضلَّ به؛ لأن هذا بذلَ قدرتَه في هدايةِ الناس، وهذا بذل قدرته في ضلالتهم، فَنُزِّلَ كلُّ واحدٍ منهما بمنزلة الفاعل التام، وهذه قاعدةُ الشريعة كما هو مَذكورٌ في غير هذا الموضع» انتهى كلامه -رحمه الله-.

أما حُكمُها: فحكمُ الدعوةِ إلى الله، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- [في الجزء الخامس عشر، صحيفة ستة وستين بعد المئة]: «وقد تبين بهذا أن الدعوةَ إلى الله تجبُ على كل مسلم لكنها فرضٌ على الكفاية، وإنما يجب على الرجلِ المُعَيَّن من ذلك ما يقدرُ عليه إذا لم يَقُمْ به غيره، وهذا شأنُ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغِ ما جاء به الرسولُ -صلى الله عليه وسلم-، والجهادِ في سبيلِ الله، وتعليم الإيمان والقرآن».

قال العلامةُ الأثريّ ابنُ باز -رحمه الله- [في الفتاوى، في المجلد الأول، صحيفة ثلاث وثلاثين بعد الثلاث مئة]: «ونظراً إلى انتشارِ الدعوةِ إلى المبادئ الهدامة، وإلى الإلحادِ وإنكارِ ربِّ العباد، وإنكارِ الرسالاتِ وإنكار الآخرة، وانتشارِ الدعوةِ النصرانية في كثيرٍ من البلدان، وغير ذلك من الدعوات المضللة، نظراً إلى هذا فإنَّ الدعوةَ إلى اللهِ -عزَّ وجل- أصبحتْ فرضاً عاماً وواجباً على جميعِ العلماء وعلى جميع الحُكام الذين يدينون بالإسلام، فرضٌ عليهم أن يبلغوا دينَ الله حَسَبَ الطاقة والإمكان، بالكتابةِ والخَطَابَةِ وبالإذاعة...» إلى أن قال: «فإنَّ الحاجةَ بلِ الضرورة ماسةٌ اليوم إلى التعاونِ والاشتراك والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثرَ مما كان قبل؛ لأنَّ أعداءَ الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلةٍ للصدِّ عن سبيل الله، والتشكيكِ في دينه، ودعوةِ الناس إلى ما يخرجُهم من دينِ الله -عز وجل-، فَوَجَبَ على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط الملحد بنشاطٍ إسلامي، وبدعوةٍ إسلاميّةٍ على شتى المستويات، وبجميعِ الوسائلِ، وبجميع الطرقِ الممكنة» انتهى كلامه -رحمه الله-.

وبما أن موضوع المحاضرة هو «منهجُ السلفِ في الدعوةِ إلى الله» يحسنُ بنا قبل أن ندخلَ إلى الأصول التي بنى السلفُ الصالح عليها طريقتهم في الدعوة إلى الله أنْ نبينَ **مكانةَ السلف -رضوان الله عليهم- وأهميتها**، ومن خلال ذلك نستطيع أن نتصور بقيةَ العناصرِ في هذه المحاضرة.

السلفُ الصالح -رحمهم الله ورضيَ عنهم- هم الصحابة، ومن درجَ على نهجِ الصحابة، والتابعين لهم بإحسان في التمسكِ بالكتابِ والسنة، وتقديمهما على كل قولٍ سواءً كان في العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو الأخلاق أو السياسية أو أي شأنٍ من شؤون الحياة صغيرها وكبيرها، وهم الثابتونَ في أصولِ الدين وفروعه على ما أنزله الله وحياً على عبده ورسوله وخيرته من خلقه محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-.

السلفُ الصالح هم القائمونَ بالدعوةِ إلى كتابِ الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- قولاً وفعلاً وعملاً بكل جدٍّ وعزم وصدقٍ وثبات، هم الذين امتشقوا حسامَ العلم وتسنموا غالب الحق لينفوا عن الدين وأهله تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، هم الذين يجاهدون كلَّ الفرق التي حادتْ عن منهجِ الصحابة، سواءً أكانت معتزلةً أو جهمية أو خوارجَ أو شيعة أو مرجئةً أو صوفيةً أو باطنيةً وكلّ مَن حادَ عن الهدى واتبع الهوى في كل زمانٍ ومكان لا تأخذهم في الله لومةُ لائم.

السلف الصالح هم الذين يعملون على تحقيق قولِه تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[آل عمران: ١٠٣].

هم الذين يُطبقونَ قولَ الله –تعالى–: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٦].

فكانوا أشدَّ الناس بُعداً عن مخالفةِ أمرِ الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، وأبعدَهُم عن الفتن ما ظهر منها وما بَطَن.

وأما الأدلة على خيرية السلف الصالح –رحمهم الله–:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة: ١٤٣]، والوسط: الخِيار العدل، فالصحابةُ خيرُ الأمة وأعدلُها، في أقوالِهم وأعمالهم وإيراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداءَ للرسلِ على أممهم يومَ القيامة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩]، قال ابنُ عمر –رضي الله عنهما–: «أي مع محمدٍ وأصحابه»، وقال الضَّحاك: «مع أبي بكرٍ وعمرَ وأصحابهما»، قال ابن القيم –رحمه الله– [في الإعلام، في الجزء الرابع، صفحة ١٠٧]: «قال غيرُ واحدٍ من السلف: هم أصحاب محمدٍ ولا ريب، أنهم أئمة صادقين، وكلُّ صادقٍ بعدهم فبهم يأتم في صدقه، بل حقيقةُ صدقِه اتباعه لهم وكونه معهم».

ومعلوم أن من خالفهم في شيء –وإن وافقهم في غيره– لم يكن معهم فيما خالفهم فيه، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[التوبة: ١٠٠].

قال ابن تيمية: «رضي الله عن السابقين الأولين رضاً مطلقاً، ورضي عن التابعين لهم بإحسان» يعني مقيداً بإحسان، [ذكر ذلك في الجزء الثالث، صفحة ١٢٦].

والاتباعُ للسابقين إن لم يكن في الدينِ والإيمانِ والعلمِ والفَهم، فبأي شيءٍ يكونُ الاتباع؟!

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[النساء: ١١٥].

فإن الله توعدَ من اتبّعَ غيرَ سبيل المؤمنين، فدل على أنَّ اتباع سبيلهم في فَهمِ شرعِ الله واجبٌ ومخالفتهم ضلال، وقال عليه الصلاة والسلام: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ**».

بهذا الأثر أَمَرَ الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- أمته عند الاختلاف بالتمسكِ بسنته بفهم صحابته، يؤكدُ هذا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث: «عَضُّوا عليها» ولم يقل: عضوا عليهما؛ للدلالة على أنَّ سنته وسنة الخلفاء الراشدين منهجٌ واحد، ولن يكون ذلك إلا بهذا الفهمِ الصحيح الصريح، وهو التمسكُ بسنته -صلى الله عليه وسلم- بِفَهمْ صحابته -رضي الله عنهم-.

وقال عليه الصلاة والسلام: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

قال ابنُ القيم -رحمه الله- [في الإعلام، في الجزاء الرابع، صفحة ١١٠]: «فأخبرَ النبي -صلى الله عليه وسلم- أنَّ خيرَ القرون قرنه مطلقاً، وذلك يقتضي تقديمهم في كل بابٍ من أبوابِ الخير، وإلا لو كانوا خيراً من بعض الوجوه فلا يكون خير القرون مُطلقاً، ومعلومٌ أن فضيلةَ العلمِ ومعرفةَ الصوابِ أكملُ الفضائل وأشرفها».

وقد تواترت النقول عن السلف -رحمهم الله- عن وجوب العمل بفهم السلف الصالح:

فهذا ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: «من كان متأسياً فليتأسَ بأصحاب رسول الله؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في أدائهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

قال الأوزاعي -رحمه الله-: «فاصبر نفسكَ على السنة، وقِف حيث وقف القوم، وقُل بما قالوا، وكُفَّ عمّا كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- [في المجلد الرابع، صفحة ١٤٩]: «ولا عيبَ على من أظهرَ مَذهبَ السلفِ وانتسبَ إليه واعتزى إليه، بل يجبُ قَبولُ ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مَذهبَ السلفِ لا يكونُ إلا حقاً».

وقال أيضاً -رحمه الله- بعد ذلك بصفحات: «فعُلِم أن شعارَ أهلِ البدع هو تركُ انتحالِ اتّباعِ السَلَف».

ولذلك قال الإمام أحمد [في رسالته: أصول السنة]: «أصولُ السُنّة عندنا: التمسكُ بما كان عليه أصحابُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-».

وقال ابن القيم -رحمه الله- [في الحاشية على السنن -أي: سنن ابن داود- في المجلد الثالث، صحيفة ٢٨٨] قال: «وهذا موضوعٌ يَغلَطُ فيه كثيرٌ من قاصري العلم، يحتجونَ بعموم نصٍ على حُكمه، فيغفلون عن عملِ صاحب الشريعة وعملِ أصحابه الذي يغيرُ مرادَه»، ومن تدبر هذا عَلِمَ به مُراد النصوصِ وفَهِم معانيها.

أما التمسكُ بمنهج السلف فله آثارٌ عظيمة:

أولها: أنه من أعظمِ الأصولِ التي تُميزُ أهل السنة والجماعة عن غيرهم من سائر الطوائف والفِرَق، فكان هذا الأصلُ عاصماً بإذن الله لهم من التفرقِ والاختلافِ وتضارب العقول والأهواء.

ومن الآثار في هذا التمسك بمنهج السلف: أن النظر في عملهم وفهمهم للدليل شاهدٌ على صحة الاستدلال به، ومصدقٌ له، ومخلّص له من الشوائبِ والاحتمالات المقدرة، قاطعٌ بوجهٍ مُعين، ومبينٌ للمجمل، ورافعٌ للإشكال، ودافعٌ للإيهام.

ومن الثمار: حَسْمُ مادةِ الابتداعِ والضلال، لأن كثيراً من فرق الضلال يتعلقُ ببعض ظواهر النصوص فيوجهها لَيّاً وتحريفاً لنصرة مذهبه وتأييد بِدعته، وفهمُ السلف لهذه النصوص هو الفَيصل وهو الحق وليس دونه إلا الضلال والشِّقاق.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[البقرة: ١٣٧].

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في الفوائد على هذه الآية [في المجلد الثاني من تفسير سورة البقرة، صحيفة ٩٤] قال: «إنَّ مَنْ خالف ما عليه النبي فهو ضلال؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- عَلَّقَ الاهتداءَ بأن يؤمنوا بمثل ما آمنَ به الرسول وأمته» انتهى كلامه -رحمه الله-.

أمّا منهج السلف بعد هذه التَّقدُمَة في الدعوة إلى الله:

أولاً: العلم الشرعي:

فإن أي دعوةٍ تقومُ على العلمِ الشرعي فإنها مُوفقةٌ وناجحةٌ بإذن الله، فإنَّ العلم الشرعي من أعظمِ ما يتجمل به الداعية ويتسلحُ به، فلا بد لمن أراد سلوكَ سبيل الدعوة من العلم الشرعي، فبالعلم الشرعي يعرفُ الداعية جادته الصحيحة، وبدون علمٍ ستعظُم جنايته على الدينِ والأمة، فكيف يكون دليلاً إلى الشريعةِ مَن لا يعرفُ الشريعة؟!

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- [في كشف الشبهات]:

«إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداءٍ قاعدين عليه، أهل فصاحةٍ وعلم وحجج، فالواجبُ عليك أن تعلمَ من دين الله ما يصير سلاحاً تقاتلُ به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامُهم ومُقدَّمهُم لربك -عز وجل-: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف: ١٦]».

ولأهمية العلم الشرعي والحاجة الماسة إليه بَوّب البخاري باباً، قال فيه: «بابٌ: العلمُ قبلَ القولِ والعمل؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبلَ القولِ والعمل».

فإذا كان الداعيةُ لا يحملُ من العلمِ شيئاً فإلى أين شيءٍ يدعو؟! ومن أي مَعينٍ يستقي لدعوته؟!

فإن هذا الأصل العظيم هو الذي ينبغي أن تُكرَّسَ له الجهود، فإن قوماً رأوا النشاطَ الرهيب الذي تجتهدُ فيه قوى الكفرِ والضلال، فظنوا أنَّ سيادتَهم –أي: سيادةَ الكفار– ترجعُ إليهم بمجردِ مقابلة نشاطِهم بنشاطٍ أقوى منه، فوجهوا كل ما يملكونَ من وسائلٍ لمحاراتهم، وأهملوا العلمَ الشرعي إهمالاً فاحشاً، والحقيقةُ أنهم مَهما أحكموا التنظيم وأحسنوا التدبير وكثفوا النشاط وحَفظوا من مكائد العَدو فلن يُكتَبَ لهم سُؤدد ولا رِفعة حتى يؤسسوا علمهم على العلم، ويعرفوا له ولأهله قدرَه، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾[الأنعام: ٨٣]، قال الإمام مالك: «بالعلم».

وهذه الرفعة تكونُ في الدنيا قبل الآخرة، كما قال تعالى في اصطفائه لطالوت في سيادة الملأ من بني إسرائيل، قال: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٤٧]، وفي صحيح مسلم: أنَّ نافعَ بن عبد الحارث لَقِيَ عمرَ لعثمان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابنُ أفدى، قال: مَن ابنُ أفدى؟ قال: مَولاً من موالينا، قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئٌ لكتاب الله –عزَّ وجلّ–، وإنه عالمٌ بالفرائض، قال عمر: أما إنَّ نبيكم قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**».

إذن، فالذين يتصورون قيامَ دولةٍ إسلامية بمجرد عاطفةٍ إسلامية، وفكرٍ مجردٍ عن حجة الشرع يسمونه فكراً إسلامياً، ونُتَفٍ من العلم يسمونها ثقافةً إسلامية، وأن التعليم مرحلةٌ قادمةٌ بعدها طالبوا سراب؛ لأنهم يتخيلونها بلا قوةٍ ولا أسباب.

ونقل ابن حجر عن ابن مسعودٍ –رضي الله عنه– أنه قال: «لا يأتي عليكم زمانٌ إلا وهو شر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خُلفاء، ويجيء قوم يفتون برأيهم» انتهى كلامه –رحمه الله–.

وكما أن الأمة مطالبةٌ بالعلم الشرعي فإنها مأمورةٌ بسؤال أهل العلم والرجوع إليهم، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: ٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء: ٨٣].

أما أن تُصرَفَ الأممُ والمجتمعات عن العلمِ الشرعي وتُشغلَ بما لا فائدة فيه لا في دنياها ولا في آخرتها فهذا عواقبه وخيمةٌ وأضرارُه عَظيمة، فالواجبُ على الدعاةِ إلى الله أن يكونوا متحلين بالعلمِ الشرعي الذي يرفعون به الجهلَ عن أنفسهم وعن غيرهم، عارفينَ بالسنة والبيانِ والحجةِ والبُرهان، فالعلمُ يرفعُ الداعيةَ إلى الله من الوقوعِ في حضيضِ البدع والأهواء، فتقوى حجته ويستقيم حالُه.

ومما يشترط على من تصدر للدعوةِ إلى الله وحَرِصَ على هداية الناس أن يَحرِصَ على العلمِ الشرعي، كيف لا وقد نصَّ الله عليه في حق من أراد أن يدعو إلى الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[يوسف: ١٠٨].

قال ابنُ سعدي -رحمه الله-: «أي: على علمٍ ويقين من غير شك ولا امتراءٍ ولا مرية».

قال بعضُ المفسرين: «﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: أي أدعو إلى دينه مع حجةٍ واضحة غيرِ عمياء».

وقال بعضهم: «أي: على بيانٍ من الله وعلمٍ لا مُعارضةٍ للنفسِ والشيطانِ فيه».

وقال شيخ الإسلام: «البصيرةُ هي البينة» انتهى كلامه -رحمه الله-.

ولذلك عندما أرسل الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- رسولَه إلى اليمن أرسل معاذاً -وهو أعلمُ الناس بالحلال والحرام- ليدعوهم إلى الإسلام، أما المتأمل في واقع الأمة اليوم لَيَجِدُ بعض الدعوات الموجودة في الساحة والتي تَجوبُ بقاعَ الدنيا طولاً وعَرضاً ليلاً ونهاراً للدعوة إلى الله مع جهلهم وقلةِ بضاعتهم في العلمِ الشرعي، حتى أصبح ينطوي تحت لوائهم كثيرٌ من الناس والدَّهماء على غير أساس من العلم الصحيح، كما هو حال دعوة التبليغ الصوفية.

وإن الناظرَ في حال كثيرٍ من الدعوات المنتشرة والتنظيمات المختلفة يرى بعينِ البصيرة أنها بالنسبة للعلمِ وتحصيله على أصنافٍ متباينة؛ فجاهلٌ بالعلم الشرعي وغير مبالٍ بتحصيله ولا يُعيره اهتماماً في وقته وفي حياته، وآخرٌ يستخدمُ العلم الشرعي لبث مفاسده وتلبيس بدعته وذلك بلَيِّ أعناق النصوص الشرعية لتقديم ما هو عليه من رأي وهوى، يطلبُ العلم لا على قواعد أهلِ العلم والبصيرة، بل على طرقِ أهل البدعِ والهوى.

قال ابن القيم -رحمه الله-: «أي أنْ يأتيَ به صاحبُه مموهاً، مزخرفَ الألفاظ مُلفقَ المعاني، مكسواً حُلّةَ الفصاحةِ والعبارةِ الرشيقة، فتُسرِعُ العقولُ الضعيفةُ إلى قَبوله واستحسانه، وتُبادرُ إلى اعتقاده وتقليده».

ومع أهمية العلم الشرعي وحاجةِ الأمةِ الماسةِ إليه، إنه من المؤلم أنك تجد أن هناك فِئاماً من الناس والجماعات قد جعلتْ الفكرَ هو دليلها، والمفكرون هم قادتها ورموزها، وعظموهم أيما تعظيم، وأطلقوا

عليهم لقبَ المفكر الإسلامي، أو الداعيةَ الإسلامي الكبير، ورجعوا إليهم في جميع قضاياهم ونوازلهم، فأخذت هذه الأمة فُرقةٌ واختلاف؛ لأنه كلما كَثُرَ المفكرون كثرت الفُرقة، مما أحدثَ أجيالاً من الناس، قناعاتُهُم فكرية، لا يعوون العلم، ولا يرضَخون للعلم، ولا يحكمُهمُ العلم، ورحمَ اللهُ الإمامَ محمد بن إبراهيم يومَ أن قال: «العلم يُجَمِّع والفِكر يفرق».

والمصيبةُ تكبر، والخَطب يَعظُم، عندما تكون مصادرُ التلقي عند كثيرٍ من الناس، وكثيرٍ من الجماعات مَصادرَ مشبوهة، ومراجعَ موبوأة، يتجرعون من خلالها قواعدَ مهزوزة، وأفكاراً مسمومة، فخلخلت إيمانَهم، وزعزعتْ عقيدتَهم، وأضعفت توحيدهم، فهذه قنواتٌ فضائية، يخلفها شبكاتٌ عنكبوتية، كُتُبٌ فكرية، وآراءٌ بِدعية، وأطروحاتٌ حزبية، فلم تَعُد الأمة تشكو من قلة العلم الشرعي فَحسب، بل أصبح الجهل يُبث فيها بثاً، يصدقُ فيها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«إنَّ من أشراط الناس أن يُرفَع العلمُ ويثبتَ الجهل»**، وعند مسلم: **«أن يرفع العلم ويُبث الجهل»**.

فأصبح واقع الدعوة في الأمة اليوم واقعاً مؤلماً، أُشغلت الأمة اليوم بالرؤى والأحلام، وأصبحت تُفرض عليها فرضاً عبرَ قنواتها، وبعضِ محاضراتِها، وصحفها ومجلاتها، حتى أصبحَ بعضُ المسلمين يعتقدُ في الرؤى والأحلام من اليقينِ والجزمِ والتصديق ما لا يعتقدُه في كتابِ الله وسنةِ رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ ولذلك تصدّى علماؤنا الربانيون حماةُ الشريعة حُرّاس العقيدة هذه العواطف ورَدوها وبينوا عوارَها وفضحوا أستارَها، فمنهم سماحةُ العلامة ابن باز -رحمه الله-، وذلك عندما أرسلت إليه جريدة «المسلمون» بالعدد المؤرخ للسابع من شهر رجب لعام ١٤١٥ تستأذنه بنشر زاوية على صفحاتها خاصة بتعبيرِ الرؤى والأحلام، فأجابهم -رحمه الله- في جواب مُرَكَّزٍ مختصر، قال فيه: «لا أرى ذلك؛ لأنه ليس من العلمِ العام الذي ينتفع به الناس، ولما فيه من المَحاذيرِ الشرعية».

وممن تصدى لهذه القضية في عصرنا سماحةُ المفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله ورعاه-، عندما أصدر بياناً شافياً في العام الماضي كافياً أُذيع عبر وسائل الإعلام، حيث قال فيه:

«ونحن لا نعلمُ أنَّ أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم خير القرون وأحرصهم على هدى نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وأتقاهم لله وأخشاهم له، لا نعلمُ أنهم عقدوا مجالسَ عامة لتأويل الرؤى، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وإني إبراءً للذمة ونُصحاً للأمة لأحذّرُ كل من يصل إليه هذا البيان من التعامل مع هؤلاء أو التعاطي معهم والتمادي في ذلك، الواجبُ مقاطعتهم والتحذيرُ من شرهم...» إلى آخر ما قال -حفظه الله-.

ألا وإن من صور الجهلِ الذي يبث في الأمة اليوم عبر بعض دعاتها وممن تسنم ظهرَ الدعوة: تلك القَصصُ والحكايات، فإنها ليست من العلم الشرعي الذي يحتاجُه الناس اليوم، ويزداد الخطرُ سوءاً عندما ترى أكثرَ المسلمين بعد أنْ غير الدّعاة القصاص فطرتهم صاروا يقبلون عليهم ويَنفِرون من الدعوة على منهاج النبوة، فازدادَ عدد القصاصين، ونقصَ عدد العلماء، فالجناية على الدعوة، والجاني هو القاصُّ والمعجبونَ به معاً، وقد بدأ الانحرافُ من الوعظِ إلى القَصص مبكراً، ولكن فقهاءَ الصحابةِ -رضي الله عنهم- ومن تبع منهاجهم وقفوا لهم بالجهاد وبينوا ضلاله ونَهوا عن ذلك وحَذروا.

روى الطبراني بسند جيد عن الخباب بن الأرت أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنَّ بني إسرائيل لما هَلكوا قَصُّوا**» صححه الألباني في الصحيحة [في المجلد الرابع، صحيفة ٢٤٦].

قال الألباني -رحمه الله- تعليقاً على هذا الحديث: «إن سبب هلاكهم: اهتمامُ وعاظهم بالقَصصِ والحكايات، دونَ الفقهِ والعلمِ النافع الذي يُعرِّفُ الناس بدينهم، فيحملهم على العملِ الصالح، لما فعلوا ذلك هلكوا» انتهى كلامه -رحمه الله-.

وعند ابن ماجه وابن حبان في الزوائد بسند حسنه الألباني عن ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما-، قال: «لم تكن القصصُ على عهدِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا عهدِ أبي بكر ولا عمرَ ولا عثمان، وإنما كانت القصصُ زمنَ الفتنة».

وروى الطبراني عن عمرو بن زرارة قال: «وقفَ عليَّ عبد الله بن مسعود وأنا أقُص، فقال: يا عمرو، لقد ابتدعت بدعةَ ضلالةٍ أو أنك أهدى من محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-». قال عمرو: «فلقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيتُ مكاني ما فيه أحد».

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابنِ سيرين قولَه: «القصصُ أمرٌ مُحدَثٌ أحدثته الخوارجُ».

وأخرج أحمد في الزُّهد قال: «ذكر ميمون القُصاص، فقال: لا يخطئُ القاصُّ ثلاثاً: إما أن يُسَمِّنَ قولَه بما يُهزِل دينه، وإما أنْ يُعجبَ بنفسه، وإما أن يأمرَ بما لا يفعل».

وقال ابن الحاج في المدخل: «مجلسُ العلم الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباعُ السلفِ -رضي الله عنهم-، لا مجالسُ القُصاص فإنَّ ذلك بدعة».

وفي تاريخ ابن جرير [في حوادث سنة ٢٧٩] قال: «نودي في بغداد: أن لا يقعدَ على الطريق ولا في المسجد الجامع، يُنهى الناسُ عن الاستماعِ إلى قاص، ويمنع القصاصُ من القعود».

وقد ختم الحافظ العراقي كتابه «الباعث على الخلاص من حوادث القصاص» بقوله: «فيجبُ على ولاة أمور المسلمين منعُ هؤلاء من الكلامِ مع الناس».

وذكر الحافظ ابن الجوزي في أول كتاب «القصاص والمذكرين» من أسباب كراهة السلف للقَصص، قال: «أنهم إذا رأوا ما لم يكن على عهدِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنكروه»، وقال أيضاً: «أن القصص لأخبار المتقدمين يندر صحتُه»، وقال أيضاً: «أنه يشغلُ عما هو أهم من تدبر القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين»، وقال أيضاً: «إنَّ في القرآنِ والسنة من العِظَةِ ما يغني عن غيره مما لا يُتيقن صحتُه»، وقال أيضاً: «إنَّ عمومَ القصاص لا يتحرون الصواب»، وقال أيضاً: «اغترارُ العوام بما يسمعونَ من القصاص فلا ينكرونَ ما يقولون»، وقال أيضاً: «إنَّ القصاصَ يأخذون الحديث شبراً فيجعلونه ذراعاً».

وقد أُلفت المؤلفاتُ وصُنفت المصنفاتُ في التحذير من القصص والقصاصين، فألف شيخ الإسلام «أحاديث القصاص»، وألف السيوطي «تحذير الخواصِ من أكاذيب القصاص»، وأيضاً الحافظ العراقي في «الباعث على الخلاصِ من حوادث القصاص»، وكذلك ابن الجوزي في «القصاص والمذكرين».

ومع تعالي هذه الصيحات، وتعدد هذه التحذيرات من السلف -رحمهم الله- من القَصص والقصاصين، إلا أننا نجدُ وبكل مَرارةٍ وألم في زماننا استقبالاً لهم بالأحضان، وإصغاءاً لهم بالقلوبِ قبل الآذان، وأصبحت القصص سُلماً للشهرة، وطريقاً إلى العالمية، وسبيلاً إلى تكفيرِ الأفرادِ والجماهير، وتَبَعاً لذلك تحول كثيرٌ من الدعاة عن منهاج النبوة في الدعوةِ إلى الله من الموعظة الحسنة -بآياتِ اللهِ والكتابِ المبين، والصحيح من سنة الرسول الكريم، كما فَهِمَ سلفُ الأمة المعتد بهم في تثبيت الاعتقاد وتعليم أحكام الإسلام، وتحبيب الخالق إلى خلقه، وترغيبهم في ثوابه، وترهيبهم من عِقابه- إلى ما أنتجه الفكرُ الغَيرُ معصوم من تلاعبٍ بالألفاظِ وتخيلاتٍ ظنيةٍ لأخبارٍ ظنيةٍ عن الحوادثِ والطوارئ السابقةِ واللاحقة.

ولم يقف الحال عند هذا الحد، بل أُدخلت مع ذلك كلِّه النُّكَتُ والفكاهات، حتى أصبحت بعض المساجد مَسرحاً لهذه الضحكات والقهقات، يمر المارُّ بجوار المسجد فلا يدري أهذا مسجدٌ أم مَسرح، والذي يُذاعُ فيه مَسرحيةٌ فكاهية أم مُحاضَرةٌ شرعية!!

ذكر ابن كثير في تفسيره -رحمه الله- عند سورة الجاثية: أنَّ سفيانَ الثوري دخل المدينةَ يوماً ما فوجد شيخاً يحدثُ الناسَ بما يضحكهم به يُقال له المَعافريّ، فقال له: «يا شيخ، أما تذكرُ أن لله يوماً يخسر فيه المبطلون؟» قال الراوي: «فما زالت تُعرف في وجه المعافريّ حتى لقي ربَّه».

من منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله: الإخلاص والمتابعة:

﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب [في المسائل على الباب: الدعاءُ إلى شهادة أن لا إله إلا الله] قال: «وفيه التنبيه على الإخلاص؛ لأنَّ كثيراً من الناسِ لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه».

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية -رحمه الله-: «فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك، ومن دعا إليه بغير إذنه فقد ابتدع» [ذكر ذلك في الاقتضاء، الجزء الأول، صفحة ٤٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥].

وقال جل وعلا: ﴿أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فهذا يستلزم اتباعه -عليه الصلاة والسلام- في الدعوة إلى الله، وأيضاً اتباعه في الطريقة التي كان يدعو بها -عليه الصلاة والسلام-.

وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، فكما أننا نتبع الرسول -عليه الصلاة والسلام- في الصلاة ونتبعه في الصيام وفي الحج وفي الزكاة وفي سائر العبادات فنتبعه أيضاً في الدعوة إلى الله.

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**».

وفي الصحيحن من حديث عائشة: «**من أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ**».

وعلى هذا دَرَجَ السلفُ الصالح -رحمهم الله- في الدعوةِ إلى الله، فلا يدعون بطريقةٍ مبتدعة تخالف ما جاء به محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-، لا كما هو حالُ بعض الفِرَق اليوم التي جعلت مصلحة الدعوة مطيةً تركبُها متى ما شاءتْ، وتنزل عنها متى ما شاءت، ولو على حساب الدّعوةِ إلى الله، وقد تُوسِّعَ في هذا المصطلح حتى أُدخِلَ في الدعوةِ ما ليس منها.

والمصيبةُ تكبُر، والخَطب يعظم، عندما ترى من يحاول إصلاحَ واقعِ الأمة المرير بزبالةِ أفكاره وحُثالةِ أقلامه ونحاتةِ آرائه وكأنها وحيٌ مترل -عياذاً بالله-.

ولذلك يقول ابنُ القيم -رحمه الله-: «وهذا حالُ أربابِ الأعمال التي كانت لغيرِ الله -عزَّ وجل-، أو على غير سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وحالُ أربابِ العلومِ والأنظار التي لم يتلقوها من مشكاةِ النبوة، ولكن تلقوها عن زبالةِ أذهان الرجال، وحناثة أفكارهم، فاتبعوا قواهم وأفكارَهم وأذهانهم في تقريرِ آراءِ الرِّجالِ والانتصار لهم، وفهم ما قالوا وبثه في المجالس والمَحاضِر، وأعرضوا عما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- صَفْحاً، ومن به رمق منهم يُعيره أدنى التفات؛ طلباً للفضيلة،

وأما تجريد اتباعه وتحكيمه وتقرير قوى النفس في طلبه وفهمه وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها وقَبول ما وافقه ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمسُ الوحي وشَهِدَ لها بالصحة فهذا أمرٌ لا تكاد ترى أحداً منهم يُحَدِّثُ به نفسه فضلاً عن أن يكون مَطلوبه وهو الذي لا ينجي سواه».

وهذا الكلام يجرنا إلى مسألةٍ مهمة تتعلق بجانب الاتباع، وهي مسألةُ وسائل الدعوة إلى الله، هل هي توقيفيةٌ أم اجتهادية؟

وهذا بابٌ غَلَط فيه كثيرٌ من الدُّعاة اليوم، وإلا فالتفريق بين أمرين يحل كثيراً من الإشكال، فالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- لها أساليب ولها وسائل، والأساليبُ غير الوسائل:

الوسائلُ هي التي تستخدمُ لنقلِ الدعوة؛ كالشريطِ وكالمذياع وكاللاقط والكتاب والتصنيف والمؤلفات، كلُّ هذه تعتبر من وسائل الدعوةِ الناقلة، وهذه ليس فيها حَرَج، بل هي مشروعة، بل قد تكون واجبةً، وهذا ما قال به سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- والعلامة ابن عثيمين كذلك -رحمهما الله-.

وأما القسمُ الثاني أو الفرع الثاني: وهي الأساليب والطرق التي تقدم بها الدعوة، فهذا هو المطلوب فيها أن يكون هناك دليل عليها من كتابِ الله أو من سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وأخطأَ كثيرٌ من الناس بالدمجِ بين هذين الأمرين، فجعل الوسائلَ والأساليب والمناهج أمراً واحداً، وهذا خطأ، وبهذا التفريق يتضح كثيرٌ من الإشكال لكثيرٍ من الناس.

فليست الدعوة إلى الله من باب التمثيليات والمسرحيات المشروعة، كيف يقفُ أناسٌ على خشبة المسرح يتكلمون بكلام من كلامِ خير البرية يقولون فيه قال الله وقال رسوله وسماهم سماتُ أهل الخير، ثم ينحني بهم الأمر إلى أن يقولوا ويتقولوا بالكذبِ وربما بالازدراء والتنقص من بعض اللهجات ومن بعض الأمم والمجتمعات؟!

سمعنا منهم من يتكلم مرة باللهجة المصرية، ومرة باللهجة اليمنية، ومرة باللهجة السودانية؛ ازدراءً بهذه القبائل وبهذه المجتمعات، وإثارةً للضحك والفكاهات والقهقهات بين الجماهير، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ**﴾[الحجرات: ١١].

فهذا الذي يحصل ليس من الدين في شيء، وإنما هي أمور مخترعةٌ مبتدعة استوردها بعض دعاة المسلمين وظنوا أنها طريق للدعوة إلى الله.

كيف هذه الطريقة لم يكتشفها محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان من بعدهم فاكتشفها الخلف وفرضوها على الأمة فرضاً وجعلوها ديناً يتقربون به إلى الله -سبحانه وتعالى-؟!!

...«**لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي**» فقال عمر: «رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً».

وعند الحاكم في المستدرك والبيهقي: أن معاوية طاف بالبيت فجعل يستلم الأركان كلَّها، فأنكر عليه ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقال معاوية: «ليس من البيت شيءٌ مهجور». فقال ابن عباس: «﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[الأحزاب: ٢١]». قال معاوية: «صَدَقت».

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: «عجبتُ لمن عرف الإسناد وصحته يذهبُ إلى رأي سفيان وفلان».

وقال سعيد بن جبير للحصين بن عبد الرحمن عندما رقى نفسه من اللدغة واستدل بحديث: «**لا رقية إلا من عين أو حمى**» قال سعيد: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع».

وقال البربهاري -رحمه الله-: «واعلم -رحمك الله- أنَّ العلمَ ليس بكثرة الرواية والكتب، وإنما العلم من اتبع العلمَ والسنن وإنْ كان قليل العلمِ والكُتُب، ومن خالف الكتابَ والسنة فهو صاحبُ بدعةٍ وإن كان كثيرَ العلمِ والكتب».

وهذا أمر مؤلم نراه اليوم، يظن كثير من المسلمين اليوم أن العالم يعرف بكثرة الجماهير، أو يعرف بكثرة المؤلفات والمصنفات، أو بكثرة الأشرطة التي سارت بها الركبان، وغربت وشرقت إلى أقاصي البلدان.

وقد أخبرني أحدُ الإخوة عن العلامة ابن باز -رحمه الله- أنه قد أحصى له في كلمة واحدة مُدتها رُبعُ ساعة، قال: أحصيت له فيها أربعة وثلاثين دليلاً من الكتاب والسنة، كلُّها قال الله وقال رسول الله، فهل لنا في هؤلاء العلماء أسوة، وهل لنا فيهم قدوة لنستدل بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-؟

من منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله: الردُّ على المُخالِف:

إنَّ النظر في جهودِ أئمة السنة وأعلامها في نشر الحق وحماية جناب العقيدة الصحيحة والسنة النبوية المطهرة والرد على من خالفهما من الأمور التي تَشُدُّ من عَضُدِ كل داعية إلى الله على بصيرة في الثبات أمام تلك العواصفِ الشديدة، التي من ورائها المرجفون، والمدافعون بالباطل عن البدع وأهلها،

سائقهم ودليلهم قواعد فاسدة، وآراء كاسدة ليس عليها نورٌ لا من الكتابِ ولا من السنة، ولذلك قبل الدخولِ في هذا الأصل التفريق بين أهل الهوى وبين أهل الجهل، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قد فرق في التعامل مع كلٍ منها بحسب ما يقتضيه الحال:

فقد تعامل مع ذلك الأعرابي الذي بال بالمسجد قال: «**لا تزرموه**» «**لا تزرموه**».

وتعامل مع الذي قال: اعدل يا محمد، قال: «**يخرجُ من ضئضئ هذا أقوام تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم...**» الحديث.

وقال بعضهم للإمام أحمد -رحمه الله-: إنه يثقلُ عليّ أن أقول فلانٌ كذا وفلانٌ كذا، فقال: «إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا، فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم؟».

وقيل له: الرجلُ يصومُ ويصلي ويعتكف خَيرٌ أم يرد على أهلِ البدع؟، قال: «إذا صلى واعتكفَ وصام هذا لنفسه، وأما إذا ردَّ على أهل البدع فهذا أفضل، وهذا خيرٌ، أو هذا عن المسلمين» أو كما قال -رحمه الله-.

وقال شيخ الإسلام: «الرادُّ على أهل البدعِ مجاهدٌ»، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: «الذبُّ عن السنةِ أفضلُ من الجهاد».

ومن مضار السُّكوت على أهل البدع وعدم الرد عليهم:

نزولُ أهل السنةِ درجات بتعطيلِ عنصرٍ مهم من حياتهم؛ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة المبطلين.

ومن مضار السكوت: ارتفاع أهل الأهواء على أهل السنة.

ومن مضار السكوت: كسرُ الحاجز النفسي بين السنةِ والبدعة والمعروفِ والمنكر، فيستمرئ الناسُ الباطلَ، وتموت الغَيرة على حرمات الدين، ويستعصي إصلاحُ الدَّهماء على العلماء.

ومن مضار السكوت: تحجج العامة بالسكوت على نسبة الأهواء والشهوات إلى الدين.

وبالسكوت والتخذيل: إسقاطٌ للعقوباتِ الشرعية لأهل الأهواءِ وأهل الشهوات.

ومن منهج السلف الصالح: عدمُ التشهيرِ بعيوب ولاة الأمر:

قال عليه الصلاة والسلام: «**من أراد أن ينصحَ لذي سلطان فلا يُبْدِها علانية، وليأخذ بيده وليدنو منه، فإن قبل منه فذاك، وإلا فقد أدى الذي عليه**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، وليؤد الذي عليه، وليسأل الله الذي له، ولا ينزعن يداً من طاعة؛ فإنه من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية**».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنكم سترون بعدي أثرة**» قالوا: ماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**».

وعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند مسلم في الصحيح من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: «**خيارُ أئمتكم من تصلون لهم ويصلون لكم وتحبونهم ويحبونكم، وشرارُ أئمتكم من تلعنونهم ويلعنونكم ويبغضونكم وتبغضونهم**» قالوا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**».

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- عندما قيل له: لماذا لا تردون على الحكام وتبينون للناس؟

قال -رحمه الله-: «ولكن النُّصحَ مبذول، لكن بيان ما يفعله فيه مفسدتان؛ أن الإنسان يخشى على نفسه الرياء فيبطل عَملُه، وثانياً أن الولاةَ ولو لم يطيعوا صارَ حُجةً على الولاة عند العامة فثاروا وحصلَ مفسدةٌ أكبر».

وأثر أسامة بين زيد في الصحيحين قيل له: ألا تدخل على عثمان لتكلمه؟، قال: «أترون أني لا أكلمه إلا أسمعُكُم؟! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتحَ أمراً لا أحب أنْ أكونَ أول من فتحَه».

ولما سئل العلامة ابن باز -رحمه الله- [في المجلد الثامن صحيفة ٢١٠]: هل من منهج السلف الصالح نقدُ الولاة مِنْ على المنابر؟ وما منهج السلف في نصح الولاة؟

الجواب: «ليس من منهج السلف الصالح التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، لكنّ الطريقة المتبعة عندَ السلف النصيحةُ فيما بينه وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجَّه إلى الخير».

وليس من منهجِ السلف الصالح الخُطَبُ الحماسية ولا المنابرُ السياسية التي هيجت وألهبت مشاعر الأمة الإسلامية والجماهير والغوغاء فملأتها حِقداً وبغضاً وغلاً على ولاة أمورهم، فخرجوا بالمظاهرات والمسيرات والاعتصامات، وربما وصل الحال وازداد سوءاً إلى الانقلابات والاختطافات والاغتيالات وألوان التخريب والفساد، فليس هذا من منهج السلف الصالح -رحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء-.

أختمُ هذا اللقاء بأنْ أسألَ الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين، والثبات عليه، وأن يرينا الحق حقاً ويزرقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في

قلوبنا، وأن يكره ويبغض إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا جميعاً والسامعين والسامعات من الراشدين، إنه ولي ذلك والقادرُ عليه.

اللهم احفظ الإسلامَ والمسلمين من كيدِ الكائدين، اللهم احفظ الإسلامَ والمسلمين من كيد الكائدين، ومن حقدِ الحاقدين، ومن حسد الحاسدين، وأخص بالذكر بلاد التوحيد والسنة.

اللهم احفظنا في عقيدتنا ومقدساتنا، وعلمائنا وأمرائنا، ونسائنا وأعراضنا، وأَمْنِنَا في أوطاننا.

اللهم من أرادنا بسوءٍ فأشغله في نفسه، ورد كيده في نحره، وأرنا به عجائب قدرتك.

اللهم من سَرَّه ما فعلوا، أو رضي بفعلهم، أو تعاون معهم، أو تعاطف معهم، اللهم افضح أمرَه، واهتك سترَه، واكشف عوارَه، وأرنا به عجائب قدرتك، وألحقه بهم، فإنهم لا يعجزونك.

اللهم لا تفرح علينا عدواً، ولا تشمت بنا حاسداً.

اللهم احفظ رجال الأمن من كيد الكائدين، اللهم ثبت أقدامهم، اللهم اربط على قلوبهم، اللهم ثبت رميَهم ورصاصَهم، اللهم انصرهم، وأيدهم بتأييدك، واحفظهم بحفظك، واكلأهم برعايتك.

اللهم عليك بالمفسدين، اللهم عليك بالمفسدين المارقين، الذين أفزعوا العباد، وعاثوا في الأرض بالفساد، اللهم عليك بهم، اللهم مزقهم كل ممزق، اللهم أرنا فيهم عجائبَ قدرتك، اللهم أرنا فيهم عجائبَ قدرتك.

أسألُ اللهَ للجميع التوفيق والهداية والسداد؛ إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأَسئلة:

جواب السّؤال الأول: حقيقةً كلامُك وسؤالك يحتاج إلى محاضرة خاصة؛ وهو أهميـــة العلمـــاء وفضلهم ومكانتهم، وهذا يحتاج إلى محاضرة خاصة، لكن، الذي ينبغي أن يُعرَف؛ أن للعلمـــاء مكانـــة عظيمة ومنقبة ومرتبة عالية يجب أن تحترم، ولا ندعي لهم العصمة، هم بشر، لكن لهم مكانة رفعهم الله بها وأثنى عليهم في أكثر من موطن في كتابه؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨]، ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِـــيمُ﴾[آل عمران: ١٨]، ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]، كل هذه الآيات في الثناء على العلماء وحفظ مكانتهم، وهذا الذي يجبُ علينا؛ لأنه إذا أُسقِطَ العلماء نرجعُ إلى مَنْ؟! نسأل مَنْ؟! نستفتي مُن؟! إذا اهتزت صورة العلماء ومكانتهم في أعين الناس، فإلى مَنْ يرجعون؟!

وخذ على سبيل المثال: إذا لم يثق الناس بالأطباء الموجودين في الساحة، فإلى من يـــذهبون؟! إلى المشعوذين، إلى الكهنة، إلى السَّحَرَة، إلى العرافين، إلى كل صاحب بدعة وضلالة وشعوذة.

فالعلماء لهم مكانة، ولهم قدر، ولهم أهمية يجب أن تُحترَم، ويجب أن تُعظم وأن تقدر قدرها، لا أن تُتنقَص، فإنا قد سمعنا من يطعن في علمائنا؛ بأنهم علماء حيض ونفاس، وأنهم لا يفقهون الواقع، وأنهم مداهنون، وأنهم مغضوبٌ عليهم، وأنهم ليس لهم هَم إلا دخول الشهر وخروجه، وبعضهم يقول عـــن بعض علمائنا: أنه مكتبة متنقلة تحتاج إلى تحقيق، وآخر يقول ويتبجح بها عبر بعض القنوات يقول: هيئة كبار العلماء عندنا مغيبة منذ ثلاثين عاماً، اسمحلي -يقول:- أن أقولها بصراحة، ويأتي آخر يقول: هـــم في أبراج عاجيّة وفي صوامع، ثم يطالبهم بالنزول إلى الساحات، وأن يفتحوا صدروهم للشباب..

أسمعتم سبّاً وخُبثاً أخبثُ من هذا الكلام يُطعن به علماء الأمة وخاصةً علماء التوحيد والسنة؟

والله ما سمعنا إلا من عمرو بن عبيد يومَ أنْ دافع عن شيخِه واصل بن عطاء، وكان يمدح كلامه ويقول: انظروا إلى كلام الحسن عند كلام واصل كأنه خِرقة حَيض مُلقاة، ويقول فهمهم وكلامهم ليس إلا بين السُّرَّة والرُّكبة، هذا ما يدندن به اليوم حول علمائنا؛ لأنهم يريدون إسقاط العلماء، إذا أســـقطوا العلماء تفرغوا للشباب، وتفرغوا للعامة، ولقحوا أفكارهم بالمبادئ الضالة، والأفكار الكاســـدة، والآراء الفاسدة؛ لأنه لا يمكن أن يُدخل إلى عقول الأمة شيء من هذه التُّرَّهات إلا إذا فُصِلت الأمة عن العلماء، وهذا من أخطر الأمور الذي تبتلى به الأمة اليوم في واقعنا، ولذلك ينبغي أن تُحترم مكانتهم، وأن تنشر أشرطتهم، وأن توزع كتبهم ومؤلفاتهم، وأن تحفظ مكانتهم في قلوب النـــاس، وأن لا يـــأتي شـــخص

يعترض ويَصُد عن سبيل الاتباع والالتفاف حول هؤلاء العلماء، فنسأل الله -جلَّ وعلا- أن يحفظهم بحفظه وأن يكلأهم برعايته.

لكنَّ السؤال عند من يقول: أن العلماء لم يتزلوا إلى الشباب وأن أبوابهم مغلقة ومكاتبهم مقفلة، نقول لهم: كذبتم؛ أبوابهم مفتوحة، ودروسهم قائمة، وهواتفهم معلومة، ومساجدهم معروفة، لكنْ من الذي يفصل الشباب عن العلماء؟ من الذي يقول: احضروا محاضرة فلان ولا تحضروا محاضرة فلان؟ من الذين يقول لهم: علقوا فتاوى العلماء في قيادة المرأة للسيارة، وفتاوى العلماء في التأمين التجاري، ولا تعلقوا فتاوى العلماء في التفجيرات، والاغتيالات، والعمليات الانتحارية، وتعدد الجماعات؟ لماذا لا تعلق هذه الفتاوى؟ أين الحافلات التي تحمل الشباب إلى دروس العلماء؟ الحافلات التي تأخذ الشباب إلى استرحات مشبوهة، إلى رحلات ونزهات موبوءة، تُلَقِّحُ أفكارهم بالتكفير والتفجير واللعن والسب والازدراء والتنقص لعلماء التوحيد والسنة وولاة هذه البلاد، أين هذه الحافلات ما تحمل الشباب إلى دروس العلامة صالح الفوزان؟ أين هذه الحافلات ما تحمل الشباب إلى دروس العلامة سماحة المفتي الذي ما يحضر درسه أكثر من عشرة طلاب؟ أين الحافلات من هذه الأعمال المباركة؛ وهي الدروس العلمية عند علماء التوحيد والسنة؟ لماذا لا تعرف الحافلات طريقاً إلى هؤلاء العلماء؟ ثم يلام العلماء ويُقال بأنهم السبب في كل مصيبة وفي كل رزية، سبحان الله! هذا هو ديدنُهم، وهذا هو شُغلهم، كمن قال: رمتني بدائها وانسلت.

جواب السؤال الثاني: ... بالقصص النافعة إلا الأمير، أو من وكله الأمير، أو ضال يبتلي الناس بقصص من عنده، يأتي بها شبراً فيجعلها ذراعاً ثم متراً، والقصص ما أحدثت في الأمة اليوم إلا الجهل، وما زادهم -والله- علماً، نحن عندنا في الكتاب والسنة قصص -ولله الحمد-؛ قال تبارك وتعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ**﴾[يوسف: ١١١]، فنرجع إلى قصص الكتاب والسنة؛ لأنها وحي، وحي ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[النجم: ٣-٤]، ليست مثل هذه القصص؛ فيها احتمالات، فيها أشياء لا تصدق، فيها إضافات، تأتي القصة بعض الأحيان في مجلس من المجالس لا تتعدى الخمس دقائق، وإذا بها في يوم من الأيام تصبح محاضرة، وبعد ذلك يكتب بها كتاب يصنف ويترل في الأسواق، ويكتب عليها قصة تائب أو قصة كذا وكذا، الأمة محتاجة إلى العلم الشرعي؛ لأن بالعلم الشرعي تعرف الأمة الحلال من الحرام، بالعلم الشرعي تعرف الأمة السنة من البدعة، بالعلم الشرعي تعرف الأمة الكفر من الإيمان، وتعرف الشرك من التوحيد، وتعرف الطاعة من المعصية، وتعرف ما يجوز مما لا يجوز، هذا

بالعلم الشرعي، أما بالقصص والحكايات هذه ما يزيد الأمة إلا جهلاً على ما عندها من جهل، لكن لو جاءت قصة أثناء محاضرة أو أثناء موعظة واقعية وثابتة ومتأكدٌ منها للعبرة والاتعاظ لا بأس، أما أن يكون الشريط كله أو أن يكون الكتاب كله قصص من أوله إلى آخره، ثم تبتلى الأمة بمثل هذا، ثم يفرض عليها فرضاً على أنه علم شرعي يجب أن تتعلمه!

نعم، أسلوب القصص جذاب، لكن ليس بهذه الطريقة، الأمة محتاجة للعلم الشرعي، الأمة تقع اليوم في بدع وضلالات وجهل وخرافات، إلا من رحم الله، ثم لو وجدت ثقافتها إنما هي قصص، ماذا أفادها هذه القصص؟! لكن ليرجع لقصص الأنبياء، لقصص الصحابة، لقصص الأمم السابقة، في القرآن وفي تفاسيرها، في الأحاديث وفي شروحها، يحصل عند الأمة علم عظيم ونفع كبير.

طيب نكتفي بهذا.

السائل: السلام عليكم، بداية نشكر فضيلة الشيخ على هذه الكلمة التي -والله- إنها لعظيمة، ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوبا غلفاً، ونسألك: هل هذه المحاضرة مسجلة؟

الشيخ: أي نعم، مسجلة، مسجلة نعم، بالجامع الكبير بتعليق سماحة المفتي -حفظه الله-.

حفظك الله، نبدأ ببعض الأسئلة -حفظكم الله-؛

هذا سائل يسأل -حفظكم الله- يقول: بعض المسلمين في الأرض ممن يقطنون دول الكفر وهو ما يسمى باللجوء السياسي -زعموا- يحتجون على فعلهم هذا بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما ابتدأ دعوته سأل من يأويه حتى يبلغ رسالة ربه، واستدلوا وقد حماه أبو طالب عمه وهو كافر، ويحتج كذلك بفعل جعفر -رضي الله عنه- والصحابة عندما ذهبوا إلى الحبشة، فما الرد عليهم -حفظكم الله-؟

يا أخي، هذا يومَ أن كانت مكة بلادَ كفر، وهل بلادنا بلاد كفر حتى يجعلون هذا دليلاً على ما ذهبوا إليه؟!، بلادنا بلاد إسلام وتوحيد وسنة والحمد لله، فالقياس باطل، وليس لهم في هذا دليل حتى يذهبوا إلى بلاد الكفر لتحتضنهم في دارها، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة يوم أن خشي على إيمانهم، فهاجروا -رضي الله عنهم- وهاجر هو مع بعض الصحابة إلى المدينة؛ فراراً بدينهم، أما اليوم فيفرون هؤلاء بماذا؟! يفرون ببدعتهم وضلالهم؟! نعم.

أحسن الله إليكم، يسأل –حفظكم الله– عن بعض من يرى جواز الإنكار على الحكام علناً مستدلاً بفعل أبي سعيد الخدري في صلاة العيد حينما أنكر تقديم الخطبة، فما الرد على هذا الدليل –حفظكم الله–؟

نقول: أولاً: هذا فعل صحابي، وفعل الصحابي أو قول الصحابي إذا تعارض مع قول صحابي آخر فهنا لا نُلْزَمُ بالأخذ بأحدهما، فكيف وهذا الفعل قد يتعارض مع قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: **«من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبدها علانية، وليأخذ بيده، فإن قبل منه فذاك، وإلا فقد أدى الذي عليه»**؟! هذا جوابه معروف، هذا أمر.

الأمر الآخر: لو سلمنا أن هذا حصل من أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–، جاء في الرواية: قال: «فخاصرته مخاصرة» يعني: جعلت خصري بجوار خصره، فهذا يدل على أنه خاصره مخاصرة وقال له في ذاك، وبعض أهل العلم يستدل بهذا على الإنكار إذا وقع المنكر أمام الناس، لكن الصحيح في هذا والله أعلم أنه يرجع فيه إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–، وفعل أبي سعيد إنما قال: «خاصرته مخاصرة». نعم.

أحسن الله إليكم، يسأل –حفظكم الله–: هل يجوز توزيع الأشرطة الوعظية لبعض الوعاظ من الذين هم على غير منهج السلف في كثير من الأمور؟

الذي يظهر والله أعلم أن في أشرطة علمائنا من الوعظ بالكتاب والسنة ما يكفي ويشفي، فهل نحن في –يعني– أزمة لم نجد أشرطة لعلمائنا الكبار؟!!

الجواب لا، أشرطتهم والحمد لله موجودة، ودروسهم قائمة، فيها –والله– من الوعظ والتذكير والتعليم ما ليس عند غيرهم، بل فيه من التأصيل العلمي والفقه الشرعي الذي تنتفع به الأمة وتتحصن به عقيدتها، فيُرجع إلى أشرطة الكبار من العلماء، أهل الحل والعقد، أهل المنهج الصحيح، أهل المعتقد السليم، يرجع إليها، ويستفاد منها، ففيها خير كثير. نعم.

أحسن الله إليكم، هل يجوز التعاون بين الجماعات في بلد تكثر فيه المنكرات؛ لإزالة المنكرات العامة فقط في هذه المنكرات؟

والله إذا كانت هذه الفئة التي قد اجتمعت للدعوة إلى الله على الكتاب والسنة فنعم يتعاون معها، ونحن مع من اتبع الكتاب والسنة، سواء كان واحداً أو عشرة، في الشرق أو في الغرب، هو أخ لنا ما دام أنه على الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، أما ما عدا ذلك، وأما تلك الشعارات التي يوالون عليها ويعادون، ويبايعون أفرادهم وأحزابهم عليها فلا والله، نعرف أن ننكر بغير هذه الطريقة والحمد لله، ولا

ندخل معهم في جدال أو في مناقشات إلا من باب الإنكار عليهم وتبيين الحق؛ حتى يرجعوا عما هم عليه. نعم.

أحسن الله إليكم، يسأل -حفظكم الله- يقول: أحياناً نرى بعض المنكرات في الشوارع كالصور العارية والدعاية للفرق الموسيقية وغيرها من المنكرات، فهل لنا إزالتها، علماً أنه ليس هناك ضرر؛ لأنها أصلاً غير مرخصة؟

إنكار المنكر له شروط وضوابط، فمن الشروط: أن لا يترتب على إنكار المنكر منكر أكبر، أما إذا ترتب عليه منكر مثله أو أكبر منه فهذا لا يغير، والذي أخشى أن هذا الإنسان إذا جاء يغير هذا المنكر بيده أن يتسلط عليه آخر فاسق أو ظالم فيصبح هو وإياه في جدال أو في مضاربة من أجل هذا المنكر، فإن استطاع أن يأخذ رقم الهاتف على الملصق -مثلاً- ويتصل بهم ويناصحهم فهذا طيِّب، أو يرسل لهم عبر الفاكس نصيحة أو فتوى بشيء من هذا، هذا شيء طيب، لكن نزعه أخشى أن يأتيه حتى ممن يمشون في الطريق مَن يجادله ومن يناقشه وربما يحصل بهذا مضاربة أو مشادة كلامية وربما تصل إلى الأيدي ويحصل ما لا يحمد عقباه، فالحكمة مطلوبة، الحكمة مطلوبة. نعم.

أحسن الله إليكم، يقول: عزا أحد المشايخ الفضلاء لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كلمة؛ وهي أنّ من الخطأ معاملة أصحاب البدع في العصور المتقدمة كعصر الإمام أحمد مثل ما يعاملون في العصور المتأخرة؛ إذ أن السنة عند المتقدمين ظاهرة والصفوف متمايزة بين أهل السنة وأهل البدعة بخلاف العصور المتأخرة التي انتشرت فيها البدع واضطرب فيها الأمر. انتهى، والسؤال: ما الفهم الصحيح والضابط الشرعي لهذا الطرح بحيث لا يبدع من لا يستحق البتديع أو يمتنع عن تبديع من يستحق؟ وجزاكم الله خيراً.

هذا الكلام الذي نقلته عن شيخ الإسلام لم أقف عليه، ولا أعرف له جواباً، أحتاج إلى مراجعة، لم أقف عليه. نعم.

أحسن الله إليكم، يسأل -حفظكم الله- عن الضابط في طاعة ولاة الأمور، بمعنى بعض المرات نجد -يعني- مثل ممنوع الوقوف، وحزام الأمان، وغيرها من الأمور التي يأمر بها ولي الأمر، فهل كل أمر أمر به ولي الأمر يجب علينا طاعته فيه؟

طاعة ولي الأمر في طاعة الله هي الواجبة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الطاعة في المعروف**»[رواه البخاري في الصحيح]، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»،

فطاعة ولي الأمر في هذه الأمور المباحة التي هي داخلة تحت باب السياسة الشرعية مطلوب وواجب، فإذا رأى ولي الأمر أن هذا الشارع يتجه من الغرب إلى الشرق بدلاً من الشرق إلى الغرب فيجب علينا طاعته؛ تنظيماً للسير، وحفظاً للأرواح، وطاعة لولي الأمر؛ لأن طاعة ولي الأمر من طاعة الله ورسوله، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**من يُطِع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني**»، فطاعة ولي الأمر في مثل هذه الأمور المباحة واجب، وهي من طاعة الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-. نعم.

أحسن الله إليكم، ذكرتم في المحاضرة أنه ليس من منهج السلف قصد مجالس تأويل الرؤى، ولكن كيف نوفق بين هذا وفعلِ النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد صلاة الفجر مع الصحابة؟

هذا فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه صاحب وحي، صاحب وحي، ففي هذه الرؤى كما جاء في رؤيا زيد شُرِعَ الأذان، وكذلك عمر بن الخطاب رأى في المنام كذلك، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يؤيد هذه الرؤيا ويؤلوها أو يردها، كما رأى أن عمر بن الخطاب يلبس قميصاً طويلاً فأوله بالإيمان، -عليه الصلاة والسلام- أوله بالإيمان لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-..

لكن أن تتخذ اليوم هذه المجالس، وقد سمعنا ورأينا ما يندى له الجبين في هذه المجالس اليوم، فهل تقرن مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- بمجالس من يفعلونها اليوم؟ لا والله، اليوم تعقد مجالس ويأتي من يريد التعبير عن الرؤيا ثم يتكلم ذلك المعبر بكلمات ربما تقدح في نزاهة ذلك الرائي للرؤيا، فربما قال له في تعبيره لرؤياه: انتبه من خيانة زوجتك، فيبدأ يشك في زوجته، وربما قال للزوجة: أن زوجك سيتزوج عليك، فأقامت الدنيا المسكينة و لم تقعدها، وحصل من التطور في هذا الموضوع حتى أصبحنا نرى كثيراً من الجرائد والمجلات تجعل عنواناً أو زاوية لهذه الرؤى والأحلام ورقم هاتف بتعرفة ومبلغ معين يدفع من أجل الاتصال الاستفتاء، أرأيت إلى أي حد وصل الأمر بالأمة الإسلامية بعد أن فتح هذا الباب، وكلام الشيخ ابن باز -رحمه الله- في هذا الباب واضح، وسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ -أيضاً- واضح، فنسأل الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء. نعم.

أحسن الله إليكم نختم بهذين السؤالين؛ حتى لا نطيل على فضيلتكم -والأسئلة حقيقة كثيرة-، هذا سائل يسأل يقول: قرأت لشيخ الإسلام في ... التدمرية حديثاً في السنن، وقد رجعت إليه وصححه الشيخ الألباني، وهو أن الله -عز وجل- حين يقبض الأرض قال في آخر الحديث وإنه ليدحوها كما يدحو الصبي ... فما معنى الحديث؟

معناه لا أدري، والله أعلم. نعم.

نختم بهذا السؤال –حفظكم الله–، يسأل: ما نصيحتكم لمن يلزم الناس برأيه وقوله مع أن المسألة يسوغ فيها الخلاف؟ وما رأيكم بمقولة: من أدب طالب العلم أن يحترم رأي من يخالفه فلا يلزمه برأيه بل يتأدب معه في عرض رأيه؟

وإذا كان في مسائل يسوغ فيها الخلاف فالأمر واسع، أما إذا كان في مسائل لا يسوغ فيها الخلاف وإنما هناك قول راجح فاتباع الراجح هو المطلوب، ويبين للمخالف القول الراجح بالدليل، فإن اتبع الدليل الحمد لله، وإن لم يتبع فليس عليه إلا البلاغ، يوضح له القول الراجح بدليله، قبله الحمد لله، لم يقبله ليس عليه إلا البلاغ. نعم.

أحسن الله إليكم، ورفع قدركم، وأجزل مثوبتكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

.. آخر تعديل (٢٨ محرم ١٤٢٨هـ) ..